مجلة بحوث كلية الآداب
جامعة المنوفية

البحث
٣

السياسة البريطانية فى المشرق العربى
بعد الحرب العالمية الأولى

إعداد

د / منصور عبد السميع منصور

كلية الآداب – جامعة المنوفية

محكمة تصدرها كلية آداب المنوفية
العدد الرابع والستون يناير ٢٠٠٦
web site: http // : www.menofia. edu. eg *** http : // Art.menofia . edu. eg

"السياسة البريطانية في المشرق العربي بعد الحرب العالمية الأولى"

دكتور/ منصور عبد السميع منصور
كلية الآداب – جامعة المنوفية

هدف هذه الدراسة توضيح موقف بريطانيا من الشرق العربي بعد الحرب العالمية الأولى وما طرأ على سياستها من تغيير، ومن المؤكد أنه قد حدثت تغييرات متعددة بعد الحرب أهمها الثورات المتعددة التي قامت في المنطقة العربية مثل ثورة مصر ١٩١٩ وثورة العراق ١٩٢٠، مما يؤكد أن رياحاً جديدة بدأت تهب على المنطقة العربية، أيضاً لا يمكن إنكار الدور المهم الذي لعبته المبادئ التي أعلنها الرئيس الأمريكي ويلسون وخاصة مبدأ حق تقرير المصير. *

ومن الأمور الجديرة بالرصد في تلك الآونة تزايد النشاط السوفيتي في آسيا وخوف انجلترا من امتداد النشاط السوفيتي إلى الهند، أيضاً لا يمكن إنكار الأثر الذي تركه قيام الاتحاد السوفيتي بدعوة العرب لحضور المؤتمر الدولي الذي كان مقرراً عقده في باكو عام ١٩٢٠، ثم كان هناك أيضاً التقارب السوفيتي التركي، كل تلك التطورات كانت وراء قيام بريطانيا بتغيير سياستها في الشرق وسوف نركز في هذا البحث على أهم ملامح تلك السياسة الجديدة التي اتضحت في مؤتمر القاهرة مع التركيز على علاقة بريطانيا بالشريفين "فيصل وعبد الله لتنفيذ سياساتها في المنطقة العربية . **

الملامح الرئيسية للسياسة البريطانية في أثناء الحرب :

من المؤكد أن الأساليب السياسية التي استخدمتها بريطانياً أثناء الحرب العالمية الأولى، كانت هي الأساس لسياستها بعد الحرب حيث استطاعت بريطانيا تهيئة الوضع في المنطقة العربية بما يحقق أهدافها، وقد شاركت هيئات بريطانية ثلاثة في صنع هذه السياسة وهي وزارة الخارجية ووزارة الهند وثالثاً المندوب السامي البريطاني لها في مصر .

أما بالنسبة لأهداف السياسية البريطانية فقد كانت تتلخص في ضرورة أحكام قبضتها على العراق وذلك لأهميته بالنسبة لحكومة الهند، هذا بالإضافة إلى إشرافه

على منطقة الخليج العربي وثالثاً لوجود الثروة النفطية في منطقة الموصل، والهدف الثاني لسياستها هو التمكين للوجود اليهودي في فلسطين وذلك للفصل بين مصر والمشرق العربي، وضمان آمن قناة السويس، الهدف الثالث والأخير هو ربط منطقة شرق الأردن بالسياسة البريطانية، وكل هذا يؤدي في النهاية إلى تحقيق مصالحها في هذه المنطقة الحيوية من العالم .

مراسلات الحسين مكماهون :

استطاعت انجلترا استثمار حالة المد القومي التي انتشرت في المنطقة العربية في بداية القرن العشرين لصالحها، وذلك من خلال إرسال بعض المستشرقين المهتمين بالقضايا العربية مثل لورنس العرب*** جرترودبيل لإقناع العرب بأن مصالحهم مع مصالح الحلفاء وأن الحرب العالمية الأول فرصة لابد من استغلالها لتحقيق حريتهم وتخليصهم من السيادة التركية، واستطاع لورنس إقناع الشريف حسين بضرورة التنسيق مع بريطانيا لتحقيق أحلامه وطموحاته السياسية ومن هنا كانت مراسلات الحسين مكماهون.***

وقد بدأت تلك المراسلات برسالة من الشريف حسين إلى المندوب السامي البريطاني في مصر عام ١٩١٥، وطلب الشريف اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية في مقابل أن تكون الأفضلية في كل مشروع اقتصادي لبريطانيا، وقد رد مكاهون على الشريف حسين مؤكداً أن مصالح الإنجليز هي نفسها مصالح العرب، مؤكداً أن بريطانيا ترغب في استقلال بلاد العرب، وقيام خلافة عربية، وأوضح في النهاية أن مسألة الحدود سابقة لأوانها [١] ومن المؤكد أن تلك المراسلات قد خطيت بموافقة وزارة الهند المشرفة على المناطق العربية [٢]، ولعب السيرهنري مكماهون الدور الرئيسي في رسم سياسة بريطانيا مع العرب، وذلك حتى يمكن التخلص بأسرع ما يمكن من الأتراك، لتدمير الإمبراطورية العثمانية التي كانت لها سيادة مباشرة بالقرب من الحدود المصرية. [٣]

بالإضافة إلى المراسلات السالف ذكرها، أعلن مكماهون أن حكومة جلالة ملك انجلترا وإمبراطورية الهند قد أعلنت أن الأراضي العربية ستستعيد حريتها واستقلالها عندما تضع الحرب أوزارها، [٤] وطلب من العرب الصبر ومناصرة بريطانيا لتحقيق الأماني والأهداف العربية، وهكذا نلاحظ أن بريطانيا قد استخدمت

مفردات العصر الحديث وأهمها الديمقراطية والحرية وذلك حتى تضمن قيام العرب بالثورة على الأتراك.

الثورة العربية:

بدأت الثورة العربية في بلاد الحجاز، وكان الشريف حسين يقود الهجوم على مكة بينما كان فيصل وعلى يقودان الهجوم على المدينة المنورة. (٥)

وقد وافقت القيادة البريطانية على تعيين لورنس للقيام بتوجيه خطط الأمير فيصل وقيادة الثورة العربية نحو الهدف الأساسي وهو الاستيلاء على مدينة دمشق من يد الأتراك. (٦)

ودخلت الحملة إلى دمشق ليلة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٨، وهللت سوريا وابتهجت بإجلاء الترك من الوطن العربي، وهكذا استسلمت تركيا، وتم إجلاء جميع القوات التركية من مدن سورية. (٧)وتم إعلان الحكومة العربية في قلب عاصمة العرب التاريخية. (٨)

وقد نجحت السياسة البريطانية بوسائلها الدبلوماسية في استخدام الحركة العربية، واستغلال طموحات الشريف في محاربة الأتراك بقوات عربية وذلك من خلال وعدد كاذب وكان هدفها إحداث اضطراب في المنطقة العربية. (٩)

اتفاقية سايبك بيكو :

وفي الوقت الذي كانت تتم فيه المراسلات بين الشريف حسين والسيرهنري مكماهون، كانت محادثات أخرى تتم وفي إطار من السرية بين كل من مسيو بيكو القنصل الفرنسي في بيروت والسير مارك سايكس وذلك على أساس وضع سوريا تحت السيادة الفرنسية في مقابل وضع العراق ماعدا الموصل تحت السيادة البريطانية ، مع الاعتراف بوجود حكام عرب في المنطقتين، واتفقا أيضاً على إقامة إدارة دولية في فلسطين (١٠)، ومن الواضح أن الهدف الرئيسي للاتفاقية تحويل البلاد العربية إلى محميات تضمن لهم سلامة مواصلاتهم من البحر المتوسط إلى المحيط الهندي، ومن المؤكد أن هذه التدابير تناقض تماماً الوعود التي أعطاها السيرهنري مكماهون للشريف حسين.

وعند الحديث عن السياسة البريطانية أثناء فترة الحرب العالمية الأولي في المشرق العربي لا بد من ذكر الوعد الذي قطعة أرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا والمعروف بـ (وعد بلفور) الذي ضمن لبريطانيا مساندة يهود العالم، ومناصرتهم لقضية الخلفاء [١١] وذلك على أساس ما يتمتع به اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية – من نفوذ واسع – هذا بالإضافة إلى سيطرتهم (اليهود) على أسواق المال في العالم .

وقد تضمن هذا الوعد العطف على أماني اليهود القومية، وذلك من خلال تسهيل تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين، مع التأكيد على أن هذا الوعد لا يغير من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمين في فلسطين.[١٢]

ومن الواضح أن السياسة البريطانية كانت تهدف أيضاً إلى إيجاد كيان موال لها في هذه المنطقة الحيوية حتى تمنع الاتصال بين مصر والمشرق العربي.

وحتى تكتمل الصورة بالنسبة للسياسة البريطانية أثناء الحرب لابد من الإشارة إلى التصريح البريطاني الفرنسي الذي صدر في السابع من نوفمبر سنة ١٩١٨ – أي قبل إعلان الهدنة بأربعة أيام فقط، والذي جاء فيه "إن الغرض الذي ترمي إليه فرنسا وبريطانيا العظمي من نهجهما في الشرق، هو التحرير النهائي للشعوب التي عانت من اضطهاد الترك وإقامة حكومات وإدارات قومية تستمد سلطتها من الاختبار الحر والإرادة المستقلة للأهالي. [١٣]

وهكذا استطاعت السياسة البريطانية تهيئة المسرح العربي والدولي لتحقيق أهدافها في هذه المنطقة الهامة من العالم – وقد كانت العراق بصفة خاصة في بؤرة اهتمام السياسة البريطانية ولذلك نرى من الضروري أن نعرض وبشكل سريع لملامح السياسة البريطانية في العراق، وذلك من خلال التصريحات التي أعلنها القادة الإنجليز عند حملتهم على العراق والتي لا تختلف كثيراً عن المنشور الذي أعلنه نابليون على المصريين، وكذلك لا تختلف عن الحجج التي ساقها الرئيس الأمريكي بوش لتبرير حملته على العراق عام ٢٠٠٣، مما يؤكد على وحدة الأساليب الاستعمارية في العصر الحديث، والتي كانت تدعي أن هدفها هو الحرية

والاستقلال ونشر الأفكار الديمقراطية، وإقامة أنظمة حكم ديمقراطية، وقد انخدعت الشعوب العربية بهذه التصريحات .

الوضع في العراق أثناء الحرب العالمية الأولى:

لا نكون مغالين إن قلنا بأن العراق قد احتلت المرتبة الأولي بالنسبة للسياسة البريطانية في الشرق، وذلك على أساس أنها تمثل نقطة اتصال حيوية في خطوط دفاع الإمبراطورية الممتدة من بريطانيا عبر جبل طارق ومالطا ومصر حتى الهند والشرق الأقصى، هذا بالإضافة إلى العوامل التي سبق توضيحها، ولذلك نجد أن حكومة الهند قد أرسلت جيشاً بقيادة الجنرال دلمان، وبدأت في ضرب الفاو وأعقب ذلك احتلال البصرة في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٤، وباحتلال البصرة ضمن الإنجليز حماية النفط في جنوب إيران من هجوم العدو، كما ضمنوا أيضاً المحافظة على سيطرتهم على الخليج العربي. (١٤)

وقد استطاعت انجلترا أن تكسب الشعب العراقي إلى صفها وذلك من خلال المنشورات التي أذاعوها على المواطنين، والتي تتلخص في أنهم قد جاءوا إلى العراق ليس بهدف الاحتلال، ولكن بهدف تحريرهم من السيادة التركية المستبدة، وأضافوا بأن أمنية انجلترا وحلفاءها أن تسمو الأمة العربية مرة أخرى وأعلنوا بأنهم سوف يقومون بتقديم الدعم والمساعدة للعرب لتحقيق طموحاتهم وأمانيهم. (١٥)

ويضاف إلى المنشور السابق الذي إذاعة الجنرال مور على أهالي العراق عام ١٩١٧، البيان الذي أعلنه السيرفولن ولسن الحاكم السياسي للعراق يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٨، والذي أوضح فيه النوايا الحقيقة للإنجليز في العراق حيث قال "إن الشعب العراقي لا يفيده أن يحكم نفسه بسرعة، بل إن الإسراع في ذلك قد يضر بالعراق وقد يؤدي إلى عكس المطلوب". (١٦)

وبعد ذلك بفترة لا تتجاوز العام صدر قرار الانتداب والذي بمقتضاه تم وضع العراق تحت الانتداب البريطاني بمباركة عصبة الأمم ولتسويق هذه السياسة الجديدة أعلنت بريطانيا أن الهدف من هذا النظام هو العمل على إقامة حكومات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي لها اختياراً حراً (١٧) ولكن من الواضح أن العراقيين قد أدركوا الأهداف البريطانية ولذلك قاموا بثورتهم الشهيرة عام ١٩٢٠(١٨)

وهكذا استطاعت بريطانيا أن تضع الأسس والقواعد لسياستها في العراق خلال فترة الحرب العالمية الأولي، واستطاعت الاستفادة من المد القومي العربي، وتمكنت من استخدام الشريف حسين وأولاده لتحقيق أهدافها في المنطقة، ولا يمكن إغفال الدور الهام الذي قام به لورنس والسيدة جرتودبيل في إقناع الشريف حسين بالانضمام إلى بريطانيا واستطاعا أيضاً الحصول على تأييد القبائل العربية لبريطانيا وسياستها وذلك من خلال الإعلان أن العرب سوف يحصلون على حريتهم عندما تضع الحرب أوزارها، وعلى الجانب الآخر حصلت على تأييد خليفتها فرنسا من خلال اتفاقية سايكس – بيكو وضمنت أيضاً تأييد يهود العالم لها من خلال إصدار وعد بلفور.

أهم المشاكل التي واجهتها بريطانيا بعد الحرب:

أ – الحصول على التأييد الدولي لمشاريعها

خرجت انجلترا من الحرب منتصرة، وبالتالي أصبحت الفرصة مواتية لتحويل أهدافها إلى واقع وذلك من خلال مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس، وقد حضر فيصل المؤتمر وقدم طلباً يؤكد فيه ضرورة اعتراف الدول العظمي "انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة باستقلال جميع البلدان العربية في آسيا وتوحيدها، وذلك على أساس ما يربط بينها، وأعلن معارضته لوعد بلفور [١٩]، وقد أعلن فيصل هذه المطالب اعتماداً على الوعود التي قطعتها انجلترا على نفسها أثناء الحرب وأهمها وعد المندوب السامي البريطاني في القاهرة والذي أعلن عام ١٩١٨ وأكد فيه على منح المناطق العربية التي يحررها سكانها استقلالها. [٢٠]

ولكن من الواضح أن الروح الاستعمارية قد سيطرت على المؤتمر بالرغم من المبادئ التي أعلنها الرئيس الأمريكي ويلسن وأهمها حق تقرير المصير، وخرج المؤتمر بنظرية الانتداب في ٣٠ يناير سنة ١٩١٩ وتم فصل سورية والعراق عن تركيا مع تعيين وصي عليهما من قبل جمعية الأمم، ووضعت بريطانيا على العراق وفرنسا على سوريا.

بعد ذلك اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء في مدينة سان ديمو الإيطالية في ٢٥ إبريل سنة ١٩٢٠، وأصدرت بريطانيا أوامرها إلى فيصل بحضور المؤتمر، الذي

اقترح فيه إدخال بعض التعديلات على اتفاقية سايكس بيكو، حيث منحت فرنسا حق الانتداب على سوريا وبريطانيا حق الانتداب على العراق وفلسطين. [٢١]

وبهذا الشكل حصلت انجلترا على موافقة مجلس الحلفاء على مطالبها وخاصة في العراق، لكي تحقق أهدافها التي أوردناها سابقاً، وبهذا الشكل ضاعت آمال وطموحات فيصل ولورنس في الحصول على استقلال المناطق العربية التي تم تحريرها من السيادة التركيبية .

ووصفت جرترود بل المنطقة الممتدة في آسيا من البحر المتوسط إلى حدود الهند وكأن الشيطان سيطر عليها فجعلها تغلي[٢٢].

وزاد قلق انجلترا بعد أن رفضت إيران في سنة ١٩١٩ معاهدة أعدها معها سيربرس كوكس والتي عرضت فيها انجلترا على إيران إمدادها بالمساعدات المالية والحربية لمواجهة النشاط الروسي وخشية امتداده إلى الهند، لكن إيران رفضت تلك المساعدات، واتخذت قراراً مهماً بسحب الخبراء العسكريين الإنجليز من أراضيها[٢٣].

ولم يكن هذا هو كل ما كان يقلق انجلترا من الاتحاد السوفيتي فلقد نشرت صحيفة أزفتيا في الثالث من يوليو سنة ١٩٢٠ دعوة للعرب في المشرق إلى أن يرسلوا مندوبيهم إلى باكو لحضور المؤتمر الدولي الثالث لشعوب المشرق والذي كان مقرراً عقده في الخامس عشر من أغسطس من عام ١٩٢٠وقالت النشرة "إن اللجنة التنفيذية للشيوعية الدولية تدعو العمال والفلاحين في فارس وأرمينيا وتركيا لحضور المؤتمر" وقدمت النشرة تعريفاً للشيوعية الدولية وأضافت أن هدفها العمل على تنظيم الجماهير الثائرة في كل مكان بالعالم، مع التأكيد على أن "الجماهير" في اتحادها وتنظيمها والاتحاد والنظام هما وسيلتا تحقيق النصر.

وقالت النشرة مخاطبة الفلاحين في سوريا والجزيرة العربية ما يلي "لقد وعدكم الإنجليز والفرنسيون بالنصر لكن قواتهم تحتل بلادكم وتفرض عليكم قوانينهم وبعد تحرركم من سيادة تركيا أصبحتم عبيد حكومات باريس ولندن وإن الفرق بينهم وبين السلطان العثماني أنهم أشد منه قوة وأكثر ضراوة[٢٤].

ومن بين المشاكل التي واجهتها بريطانيا في أعقاب الحرب سياسة التقارب بين الاتحاد السوفيتي وتركيا، ولإثبات حسن النوايا تنازل الأول للثاني عن مناطق مهمة من بينها أردهان وباطوم وهي من المناطق التي حصل عليها الروس عام ١٨٧٨م من الدولة العثمانية، وسياسة التقارب هذه كانت وراء تبني تشرشل سياسة العمل على استخدام جميع الوسائل الممكنة للحيلولة "دون حدوث هذا التقارب"[٢٥] .

فإذا ما تركنا تركيا إلى مصر وجدنا أن انجلترا قد شغلتها أحداث ثورة ١٩١٩ وقررت إيفاد لجنتها المعروفة بلجنة ملنر إلى مصر لتحقيق أسباب الاضطرابات في تلك البلاد، وعن شكل القانون النظامي الذي يعد تحت الحماية "خير دستور لترقية أسباب السلام واليسر والرخاء فيها، ولتوسيع نظام الحكم الذاتي فيها لتحقيق التقدم والترقي ولحماية المصالح الأجنبية"[٢٦] .

وعندما وصلت اللجنة إلى مصر لم توفق في مهمتها بسبب مقاطعة المصريين لها وحين عادت إلى انجلترا ورفعت تقريرها اعترفت بفشل العودة إلى سياسة ما قبل الحرب في مصر، وطالبت بتغيير في السياسة البريطانية لمواجهة الظروف الجديدة وإن كانت قد تمسكت بأن هذا التغيير لا ينبغي أن يمس المصالح الجوهرية لبريطانيا في مصر[٢٧]

وفي الجزيرة العربية بدأت المشاكل بين الشريف حسين وعبد العزيز بن سعود وخاصة بعد أن قاد عبد الله بن الشريف حسين قوات بأمر من والده واحتل واحتي تربة وخرمة وهما الواحتان محل النزاع التقليدي بين آل سعود وأشراف مكة، لكن قوات ابن سعود سرعان ما استردت الواحتين ومضت تتعقب عبد الله الذي انسحب إلى الطائف واستنجد الشريف حسين بانجلترا فأرسلت في يونيو سنة ١٩١٩إنذاراً إلى عبد العزيز بن سعود حذرته مغبة التقدم في الحجاز وطلبت منه أن يعود إلى نجد . [٢٨]

ومن أهم المشاكل التي واجهتها بريطانيا مشكلة الثورة التي قامت بالعراق عام ١٩٢٠ومن المعروف تاريخياً أهمية العراق بالنسبة لانجلترا في تلك الفترة المهمة من التاريخ، ومن ثم كان من الضروري القضاء على تلك الثورة مهما كانت التكلفة، ولذلك طلبت حكومة لويد جورج اعتمادات إضافية للقضاء على تلك الثورة وتدعيم نفوذها في العراق، وقدم تشرشل وزير الحربية اقتراحاً باعتماد قدره ٣٩ مليونا

استرلينيا لمواجهة مصروفات الحكومة بالنسبة لقواتها في العراق وأماكن أخرى واستطاعت الحكومة الحصول على موافقة البرلمان على خطتها لحل مشكلة الحكم في العراق. [٢٩]

كانت المشكلة التي تواجه الحكومة البريطانية هي ضرورة توحيد سياستها وتركيزها في هيئة أو إدارة واحدة.

فتشرشل وزير الحربية ينتقد أخطاء بلفور وزير الخارجية ويرى أن السياسة التي تنتهجها وزارة الحربية في تخفيض المصروفات بفك تعبئة القوات وتخفيض أعدادها لا تتفق مع فشل وزارة الخارجية في حل الأزمات السياسية، مما يزيد ولا يخفف من أعباء بريطانيا ٠

وتوصلت الحكومة البريطانية من أحداث سنة١٩٢٠ في العراق إلى أن نظام تقسيم المسئولية بالنسبة لشئون العالم العربي بين وزارة الخارجية ووزارة الهند ووزارة الحربية أمر خطير ونتائجه سيئة بالنسبة لبريطانيا وشغلت وزارة الخارجية كما شغل كل من مجلس الوزراء والبرلمان بالمسألة وضرورة التوصل إلى جهة واحدة تتولى أمور العالم العربي. [٣٠]

ففي أول مايو ١٩٢٠ قدم تشرشل (وزارة الحربية) مذكرة إلى مجلس الوزراء عن (المصروفات المطلوبة للعراق) فتحت مناقشتها المجال أمام مجلس الوزراء لدراسة مسألة إعادة تنظيم السياسة البريطانية واقترح تشرشل نقل الإشراف على العراق إلى وزارة المستعمرات كما اقترح الاستعانة بالقوات الجوية البريطانية في تدعيم الأمن في العراق، وكانت انجلترا قد استعانت بقواتها الجوية في إخماد الحركة التي قامت في أفغانستان في مايو ١٩١٩ وذلك عندما بدأت حكومة الهند تعترض على طلب الزعيم الأفغاني المطالبة باستقلال بلاده الداخلية والخارجية وظلت الأعمال الحربية قائمة حتى وقع الصلح في ٢٢نوفمبر ١٩٢١واعترف باستقلال أفغانستان [٣١] كذلك طالب تشرشل بالتنسيق بين وزارة المستعمرات والخزانة بشأن المعونات التي تصرف في هذه البلاد وأن يقتصر وجود القوات في العراق على قوات تتمركز على طول الطرق[٣٢] ولقيت مقترحات تشرشل على مجلس الوزراء تأييداً من بعض الوزراء في مقدمتهم مونتاجو وزير الهند الذي قال أنه يؤيد الفكرة القائلة بأن أمور كل الشرق ينبغي أن توضع تحت إدارة واحدة .

وإذا كانت مسألة العراق قد شغلت مجلس الوزراء البريطاني آنذاك، فإن اهتمامه تركز أكثر خلال الجزء الباقي من ١٩٢٠ في كيفية توحيد وتركيز سياسة بريطانيا تجاه الشرق الأوسط في إدارة أو هيئة واحدة. ولم يكن مجلس الوزراء البريطاني هو الذي شغل بذلك فقط، فقد كانت وزارة الخارجية هي الأخرى قد دارت فيها اجتماعات ودراسات بهذا الخصوص، فقدم هوبرت يونج Hubert young لوزارة الخارجية البريطانية مذكرة عن البلاد العربية وكيف يتنازع الاختصاص فيها جهات عدة فأمور مصر واليمن وعسير وفارس وسوريا والحجاز من مسئولية وزارة الحربية بينما ساحل الخليج العربي ونجد وحائل وعدن وحضرموت تحت إدارة وزارة الهند. واقترح ضم إدارتها كلها لوزارة الخارجية. وأيد لورد كيرزون وزير الخارجية مقترحات يونج واقترح أن تتولى إدارة هذه البلدان كلها إدارة واحدة يرأسها وكيل لوزارة الخارجية. (٣٣)

أما الجهة الثالثة التي شغلتها مسألة تنظيم سياسة بريطانيا تجاه البلاد العربية فكان البرلمان البريطاني، فقد وقع عدد من أعضاء البرلمان على مذكرة أرسلت إلى رئاسة مجلس الوزراء البريطاني في ٢٦ مايو ١٩٢٠ طالبوا فيها بالأخذ بوجهة النظر القائلة بضرورة وجود إدارة موحدة تتولي أمور الشرق الأوسط لأن استمرار الوضع الحالي من شأنه أن يؤدي إلى تضارب السياسات وسوء التفاهم فضلاً عن المصروفات الكثيرة التي ينبغي الاقتصاد فيها. (٣٤)

وقبل أن ينصرم عام ١٩٢٠ كانت الحكومة البريطانية قد توصلت في ٣١ ديسمبر إلى أنه ينبغي أن تكون مسئولية الانتداب على العراق وفلسطين في يد إدارة واحدة وأن السبيل الأمثل هو إنشاء وزارة خاصة لهذا الغرض ولكن لما كان إنشاء هذه الوزارة قد لا يحظى بموافقة البرلمان فإن مجلس الوزراء قرر أن تتولي ذلك إدارة جديدة تابعة لوزارة المستعمرات وتعطي اسم إدارة المستعمرات ومناطق الانتداب . Department for colonies and Mandate territories

وكلف مجلس الوزراء وزير المستعمرات بتشكيل لجنة فرعية تتولى وضع التفاصيل الخاصة بهذه الإدارة ومهام عملها . (٣٥)

وهكذا يمكن القول أنه مع بدء عام ١٩٢١ كانت الحكومة البريطانية قد استطاعت أن تحدد طريقها وأن تتخذ دوراً إيجابياً تجاه سياستها في الشرق الأوسط

وتبع ذلك استقالة اللورد ملنر من وزارة المستعمرات ليتولاها تشرشل الذي قال وهو يتولى المسئولية الجديدة إنني مقتنع أن المسألة وصلت لحالة سيئة وبناء على قرار مجلس الوزراء تشكلت لجنة خاصة في الحادي عشر من يناير ١٩٢١ تولي رئاستها سيرمارستون سميث Marston Smith [٣٦] وضمت اللجنة ممثلين عن وزارة الخزانة والمستعمرات والخارجية والهند ووزارة الحربية، وانتهت اللجنة من عملها في آخر يوم من أيام يناير ١٩٢١ وأوصت اللجنة بأن الإدارة الحربية تتولى الإشراف على العراق وعدن وفلسطين بما فيها شرق الأردن واقترح تقرير اللجنة تنظيم العلاقة بين وزارة المستعمرات ووزارة الحربية ووزارة الطيران كما اقترحت تنظيم المصروفات في هذه المناطق [٣٧].

واقترحت اللجنة أيضًا أن تبدأ الإدارة الجديدة عملها في أول مارس ١٩٢١ واجتمع مجلس الوزراء البريطاني في الرابع عشر من فبراير لبحث التوصيات الخاصة بلجنة مارستون سميث، وفي بداية الاجتماع دافع تشرشل بحماس عن حق الإدارة الجديدة المزمع إنشاؤها في أن تشرف على شئون الجزيرة العربية. وكان قد أرسل قبل ذلك بحوالي شهر (الثاني عشر من يناير ١٩٢١) في رسالة خاصة وشخصية إلى رئيس الوزراء لويد جورج رأيه تجاه هذه المسألة، كان رأي تشرشل أن المشكلة العربية ينبغي أن تعالج ككل وأي محاولة لمعالجتها مجزأة أمر يحمل الضرر وهو ما حدث خلال السنتين الأخيرتين وسواء كان الأمر بالنسبة لفيصل أو لعبد الله وللشريف حسين في مكة أو لابن سعود في نجد، أو لابن الرشيد في حائل أو شيخ الكويت أو هربرت صمويل في بيت المقدس، فإن أمورهم متداخلة وأن السياسة الناجحة تقوم بالتنسيق بينهم ، فإذا استبعدنا أمور الجزيرة العربية معناه أننا نعطل عمل إدارة شئون الشرق (يشير بهذا إلى الإدارة الجديدة التي تقرر إنشاؤها) [٣٨].

وعارض لورد كيرزون وزير الخارجية ما بدأه تشرشل بهذا الخصوص إذ خشي أن يكون في امتداد نفوذ وزارة المستعمرات على هذا النحو ما قد يؤثر على انجلترا فتصبح وقد تورطت في سياسة تضر بها ولا تفيد خاصة إذا ما تم شيء دون علم وزارة الخارجية البريطانية وهي المسئولة أساساً عن أمور الدولة الخارجية، وانتهي اجتماع مجلس الوزراء بالموافقة على التوصيات الموجودة في تقرير لجنة مارستون سميث وأوصي المجلس أن يتشاور وزيرا الخارجية

والمستعمرات للوصول إلى تفاهم حول السياسة العربية. كما أوصى المجلس أن يزور وزير المستعمرات مصر في الجزء الأول من مارس ١٩٢١ بغرض استشارة السلطات البريطانية في فلسطين والجزيرة العربية [٣٩].

اجتماع القاهرة ١٢ مارس ١٩٢١

وأعدت الترتيبات لاستشارة عدد من خبراء انجلترا في الشرق. وكان تشرشل قلقاً على الموقف في العراق أكثر من غيره ولذلك كان يريد الإسراع بمقابلة سير برسي كوكس [٤٠] وأحاط تشرشل نفسه بعدد من الخبراء منهم سير جيمس ماسترتون الذي أصبح وكيل وزارة المستعمرات الدائم وجون شوكبرج Schuckburg الذي أصبح مساعد وكيل وزارة المستعمرات البريطانية وهوبرت يونج من وزارة الخارجية وممثل لوزارة الخزانة البريطانية واستدعى إلى الاجتماع في القاهرة كذلك سير هربرت صمويل المندوب السامي في فلسطين وحاكم عدن واشترك في الاجتماع أيضاً لورنس [٤١].

واقترح Percy Cox أن يحضر معه إلى الاجتماع وزير المالية والدفاع العراقيين، وخشيت وزارة الخارجية البريطانية أن يكون لعقد اجتماع تشرشل في القاهرة مجال لكي يبحث أمور مصر ولكن رئيس الوزراء طمأن لورد كيرزون (وزير الخارجية) أن اجتماع تشرشل مع الخبراء الإنجليز في القاهرة لا علاقة له بالأمور المصرية ولن يشغل تشرشل نفسه بذلك. كذلك اقترح اللنبي المندوب السامي البريطاني مكاناً آخر غير القاهرة لهذا الاجتماع خشية أنه يواجه تشرشل بمظاهرات مصرية ومن ثم فقد اقترح عقد الاجتماع في بور سعيد أو الإسماعيلية أو في بيت المقدس .

ومضت أيام شهر فبراير ١٩٢١ في الاستعداد لعقد الاجتماع في القاهرة وكان الهدف الذي وضعه تشرشل أمامه هو تخفيض مصروفات انجلترا في الشرق الأوسط وفي الوقت نفسه إتباع سياسة تساعد الحكومة البريطانية على أن تفي بالتزاماتها في هذه المنطقة من العالم [٤٢].

ولكنه ظل مقتنعاً أن المشكلة العربية واحدة لا تقبل التجزئة وصار مقتنعاً أن الاستعانة بالشريفين (أسرة الشريف حسين) في الجزيرة العربية والهلال الخصيب يمثل أحد الحلول التي يمكن لبريطانيا أن تساندها، وإذا كانت انجلترا قد استبعدت

في فترة سابقة الاستعانة بالشريفين فإنها عادت تفكر فيها جدياً مرة أخري خصوصاً خلال صيف ١٩٢٠ [٤٣] فلقد أرسل اللنبي في تقرير له إلى وزارة الخارجية في ١٩ مايو ١٩٢٠ أن عبد الله تحدث معه في القاهرة بروح معتدلة وأنه مستعد أن يترك مصيره لبريطانيا تقرر ما تراه بشأنه، كذلك فإن رسائل جرترود بل في هذه الفترة تلقي ضوءاً على اهتمامها بالاستعانة بعبد الله أو فيصل على عرش العراق.

وبعد القضاء على حكومة فيصل في دمشق عام (١٩٢٠) ودخول الفرنسيين إليها نرى ولسن الحاكم السياسي على العراق يراسل حكومته في ٣١ يوليو يعارض فكرة ترشيح عبد الله لعرش العراق ويرى الاستعانة بفيصل ووصفه في رسالته أنه أحسن أفراد الأسرة الشريفة لقيادة حكومة متمدنة في بلد عربي [٤٤].

وبينما كانت الفكرة تتداول أيدتها مذكرة Hubert Young بعنوان مذكرة وزارة الخارجية عن السياسة العربية أعدها في ٢٣ أكتوبر ١٩٢٠ قال فيها مهما كانت سياستنا مع حكام الجزيرة العربية فمن الضروري أن نعيد ثقة العالم الإسلامي لنا وذلك بأن نعيد ثقة حارس الحرمين (الشريف حسين) فينا .

كذلك أيد كورنواليس Cornwallis (الذي عمل مديراً للمكتب العربي في القاهرة حتى سنة ١٩٢٠ ثم اختير سنة ١٩٢١ مستشاراً خاصاً للملك فيصل) فكرة الاستعانة بالشريفين وقال أن الشريف حسين لا يساوي شيئاً لكنه رمز لثورة العرب وأن اختفاءه معناه فشل سياستنا في كل العالم العربي. وبرغم سوء فكرة كورنواليس عن الشريف حسين، فإن فكرته عن فيصل كانت لا بأس بها.[٤٥]

تبع هذا استدعاء فيصل من ميلان في إيطاليا حيث كان يقيم بعد انهيار عرشه في سوريا.

يقول كليمان في كتابه (أسس السياسة البريطانية في العالم العربي) إن فكرة دعوة فيصل إلى انجلترا جاءت من الشريف حسين الذي طلب من الحكومة البريطانية أن تستدعي ابنه فيصل كممثل شخصي له، وأن الفكرة – فكرة استدعاء فيصل – قد التقت مع فكرة لوزارة الهند أن تجمع الحسين وابن سعود في لندن أو ممثلين لهما لبحث المشاكل المرتبطة بهما [٤٦] .

ويقول يونج في كتابه Independant Arab إن فيصل تقرر استدعاؤه إلى انجلترا لإجراء محادثات خاصة معه لا ترتبط بالعراق بل بصفته ممثلاً شخصياً لوالده الشريف وكان السبب في حذر انجلترا على هذا النحو ما أبدته فرنسا في رسالة إلى انجلترا أبلغها بها القائم بالأعمال الفرنسي في لندن في السابع عشر من أغسطس ١٩٢٠ أن وجود فيصل على عرش عربي بعد طرده من سوريا سوف ينظر إليه على أنه عمل غير ودي. (٤٧)

وقام كيرزون وزير الخارجية في السادس عشر من نوفمبر ١٩٢٠ بإبلاغ الحكومة الفرنسية أن فيصلا سوف يدعى في الشهر القادم (ديسمبر) في زيارة خاصة، وأكد للفرنسيين أن مسألة العراق لن تبحث معه وقال إن فيصلا يرغب في بحث بعض المسائل العربية وأكد أن مسألة وضع فرنسا في سوريا سواء في الماضي أو الحاضر لن تبحث معه. (٤٨)

وجاء فيصل إلى لندن، وقابل الملك جورج في الرابع من ديسمبر ١٩٢٠ ودارت معه ثلاث محادثات في وزارة الخارجية في الثاني من ديسمبر – قبل مقابلته للملك – ثم في الثالث عشر والعشرين من يناير ١٩٢١ .

ولم يكن هناك تحديد سابق لمواضيع هذه الاجتماعات فهي محادثات شخصية ليست ذات طبيعة رسمية فالحكومة البريطانية ارادت أن تنتهز فرصة وجود فيصل في لندن كي تجري محادثات معه بشأن توقيع الشريف على معاهدة فرساي ومعاهدة سيفر (مع تركيا) وأرادها فيصل فرصة كي يتحدث مع الحكومة البريطانية عن سابق وعودها للعرب خلال محادثات حسين مكماهون مرة أخرى وما يتعلق بالشريفين في هذه المحادثات (٤٩).

وفي اجتماع فيصل مع كيرزون (وزير الخارجية) اشتكي فيصل من تهديد ابن سعود لوالده وهي التهديدات التي قال عنها كيرزون إنه مبالغ فيها، كما اشتكي فيصل من موقف انجلترا بخصوص المعونة لوالده بينما يتلقى عبد العزيز بن سعود معونة كبيرة. وفي الاجتماع الثالث والأخير الذي رأسه (لندساي Lindsay)– وكيل وزارة الخارجية البريطانية – ذكر فيصل أن السبب الذي يمنع والده من توقيع معاهدة فرساي هو مسألة الانتدابات التي برزت بعد الحرب العالمية الأولي وانتهي

الاجتماع بأن قال لندساي لفيصل إنه ليس من حق ملك الحجاز أن يتحدث باسم العرب طالما أن العرب أنفسهم لا يرغبون في ذلك.

وإذا كان كيرزون قد وصف اجتماعات فيصل بأنها استعراض لأمور قديمة فإنها أظهرت استعداد فيصل للتعاون مع الحكومة البريطانية. (٥٠)

ولم يفاتح فيصل في هذه الاجتماعات بشأن العراق إلا حين جاءت برقية من سير برسي كوكس تقترح أن تقوم الحكومة البريطانية بهذه المبادرة من جانبها لأنه ليس من المرغوب فيه أن يتشاور (كوكس) في هذه المسألة مع الشخصيات البارزة في العراق. وعلى إثر ذلك دارت محادثات شخصية مع فيصل اتفق فيها أن يعود فيصل إلى مكة ويحث والده (الشريف حسين) أن يوقع معاهدة فرساي، وفي نفس الوقت يقترح الحسين أحد ابنائه لعرش العراق ويفضل في هذا الاقتراح ابنه فيصل فإذا قبل العراقيون ذلك تقدم فيصل إلى العراق، ولقد تم ذلك الاقتراح من جانب الحكومة البريطانية لفيصل في اجتماع خاص تم بين كورنواليس (الذي زوده كيرزون بهذه التعليمات) وبين فيصل (٥١). وكان رد فيصل إن والدي الذي اقترح عبد الله لعرش العراق لن يقبل وسيعتقد أنني أعمل ضد أخي باتفاق مع انجلترا وقال فيصل إنه يؤيد أخاه لعرش العراق ولكنه مستعد لأن يقبل عرش العراق إذا قال العراقيون إنهم يقبلوه وإذا رفضت انجلترا عبد الله وكان رأي كورنواليس بعد الاجتماع أنه يفضل فيصل لعرش العراق وأن يقوم كوكس بترتيب مسألة انتخاب العراقيين لفيصل.

وهكذا مع رحيل تشرشل إلى القاهرة كان الأمر قد استقر لدي الحكومة البريطانية أن تستعين بالشريفين في العالم العربي وأنها تفضل فيصلاً للعراق (٥٢).

وبدأ المؤتمر اجتماعاته في القاهرة في الثاني عشر من مارس ١٩٢١ حيث افتتح تشرشل الاجتماع وانقسم المجتمعون بعد ذلك إلى قسمين لجنة سياسية يرأسها وزير المستعمرات ولجنة حربية ومالية يرأسها والتر كونجريف Congrave وتقرر أن تتم اجتماعات مشتركة بين اللجنتين إذا ما كانت هناك حاجة للتنسيق بين البرامج السياسية والعسكرية واستمرت اجتماعات المؤتمر التي عقدت في فندق سميراميس بالقاهرة اثنى عشر يوماً.

وفي بداية اجتماعات اللجنة السياسية دعا تشرشل سير برسي كوكس أن يشرح الخطوات التي يرى اتخاذها بالنسبة للعراق .

أوضح كوكس أنه في أواخر سنة ١٩٢٠ وجدت حكومة انتقالية تحت رئاسة طالب النقيب *. واستعرض كوكس بعض الأسماء كي ترشح لعرش العراق مثل شيخ المحمرة أو ابن السعود ولكنه استبعدهم وفضل أحد أفراد أسرة الشريف حسين مؤكداً أن العراقيين سيرحبون بذلك.

وعندما سأل تشرشل كوكس عن أسباب تفضيله فيصلاً على غيره من أبناء الشريف حسين أجاب كوكس بأن الخبرة التي اكتسبها فيصل في أثناء الحرب العالمية الأولى تجعله مهيئاً لذلك أكثر من أخيه عبد الله.

وأيد لورنس وجهة نظر كوكس وقال لورنس أن فيصل أكثر نشاطاً من عبد الله وحكم العراق يحتاج لحاكم كفء نشيط.

وهكذا انتهي اليوم الأول للاجتماع وأصبح واضحاً أن هناك اتفاقاً على أن يعهد لفيصل بحكم العراق وفي الاجتماع الثاني للجنة السياسية الذي عقد في ١٣ مارس ١٩٢١ بحث جدول ترتيب مقترح من كوكس بالنسبة لمجيء فيصل إلى العراق واتفق على أن يصل فيصل العراق في نهاية مايو (١٩٢١) لأن وجوده له تأثير في عدم وجود معارضة ضد ترشيحه على عرش العراق. وعقب ذلك أبرق تشرشل إلى رئيس الوزراء في لندن يقول له إن فيصل هو الشخص الذي اتفق عليه بالنسبة لعرش العراق. وقال تشرشل في برقيته عندما أتلقي برقيتكم سوف أكلف لورنس أن يتصل بفيصل كي يحضر هذا الأخير إلى مكة مارا بمصر، وقال تشرشل أن الوقت قصير لأن كوكس لابد أن يعود والمسألة تحتاج إلى اتفاقه معه على كل شيء قبل عودته [٥٣].

والتمس تشرشل في برقيته أن يصله الرد في خلال ثلاثة أو أربعة أيام على الأكثر. وجاء في الرد في السادس عشر من مارس ١٩٢١ أن الحكومة الإنجليزية لا تمانع في اختيار فيصل ولكنها تفضل أن يبدأ ذلك بطلب من العراقيين، أي أن تكون المبادرة من جانب العراقيين.

وذكّر لويد جورج تشرشل بما قاله فيصل في لندن أن قبولـــه للمنصـــب لـــن يتحقق إلا بتنازل عبد الله عن كل ادعاء له .

وكانت اللجنة السياسية قد اجتمعت قبل مجيء رد رئيس الوزراء حيث اتفـــق على ما اقترحه كوكس من أنه عند مجيء فيصل إلى مكة يبرق إلى الشخصـــيات البارزة فيها قائلاً أنه طالما أن أصدقائه يحبون له أن يحضر إلى العراق وأنه بعـــد بحث المسألة مع أبيه وأخوته فقد قرر عرض خدماته على عرش العـــراق. ويتبـــع فيصل ذلك وبعد أن يعرف أثر هذه البرقية بأن يعلن أنه قرر الحضور إلى العراق ويعد استقبال فخم لفيصل واتفق أن يتم ذلك حوالي الثامن من يونيو يحـــل فيصـــل بعدها الحكومة الانتقالية القائمة في العراق ويدعو النقيب أو أي شخص آخر لتأليف الوزارة . ودعت اللجنة السياسية كلاً من جعفر العسكري وزير الدفاع وكذلك وزير المالية العراقيين لإبداء رأيهما فوافقا على أن الشعب العراقي سوف يرحب بفيصل.

وعقدت بعد ذلك اللجنتان السياسية والعسكرية اجتماعـــات مشـــتركة لبحـــث المسألة المالية والعسكرية، وقد اتفق أنه بعد وصول فيصل إلى الســـلطة تخفـــض الحكومة البريطانية قواتها في العراق من ٣٣ كتيبة إلى ٢٣ وتوفر من المصروفات ما مقداره ثلاثة ملايين و٧٥٠ ألف جنيه من الميزانية المعتمدة للعراق وفلسطين في السنة المالية ١٩٢١ – ١٩٢٢ فتصبح ٢٧ مليون و٢٥٠ ألف جنيه بعد أن كانـــت ٣١ مليون جنيه، ثم يتلو هذه المرحلة الثانية من التخفيض حتى تصبح القوات فـــي العراق بصفة دائمة خمسة عشر ألف جندي، واتفق على تطوير القـــوات الجويـــة الإنجليزية كي تسهم في أمور الأمن في هذه المنطقة .

وكان الجنرال الجوي ترينشارد Trenchard قد قدم للجنة المشتركة مشـــروعاً يقضي باستخدام القوات الجوية لتدعيم الأمن في العراق وقد وافقت عليـــه اللجنـــة، كذلك بحثت اللجنة المشتركة موضوع اللاجئين الموجودين في العراق من الأرمـــن أما بالنسبة للأمور المالية فقد اتفق على أن تتولي الحكومة الإنجليزية سد العجز في ميزانية العراق حتى يستطيع أن يقف على قدميه بعد ذلك.

وأبرق تشرشل في السادس عشر من مارس إلى رئيس الـــوزراء يخبـــره أن المؤتمر اتفق على كل النقاط السياسية والعسكرية ولما كانت برقية رئيس الـــوزراء إلى تشرشل والتي يوافق فيها على ترشيح فيصل لعرش العراق قد وصـــلت إلـــى

القاهرة في نفس اليوم (١٦ مارس) ولكن بعد أن أرسل تشرشل برقيته، ولما كانت (برقية رئيس الوزراء) قد ظهر فيها تخوف رئيس الوزراء من أن ترشيح فيصل لعرش العراق قد يثير حساسية لدي فرنسا، فقد بادر تشرشل يبرق مرة أخرى إلى رئيس الوزراء في ١٨ مارس يقول له أنه ما لم يكن لنا تفكيرنا الخاص، فإننا لن نفعل شيئاً [٥٤] . وأيد تشرشل بشدة ذهاب فيصل إلى العراق وختم برقيته بقوله .

"لقد أعطيت المسألة اهتمامي كله واستشرت كل الخبراء وأنا أعرف قبل قبولي منصبي هذا أني كنت مفضلاً فيصل ولقد رأيت أن يؤجل مجلس الوزراء اتخاذ قرار بهذا الشأن حتى أبحث المسألة بنفسي وأنا غير مقتنع بالجزء الأول من برقيتك -١٦ مارس- (يقصد النقطة الخاصة بالتخوف من حساسية فرنسا من جراء تولي فيصل عرش العراق)وختم تشرشل برقيته: أرجو أن تؤيدني شخصياً" [٥٥].

ثم شغل المؤتمر بعد ذلك ببحث موضوع فلسطين وبدأت مناقشة هذا الموضوع بدراسة القضية الصهيونية وإلى أي حد تأثرت العلاقات الإنجليزية الصهيونية خلال الأربع سنوات الماضية منذ صدور وعد بلفور وإلى أي حد تتعارض فكرة الوطن القومي اليهودي مع رفض العرب لتصريح بلفور ومطالبتهم بحق تقرير المصير. وكان بحث فلسطين يحمل معه بحث موضوع شرقي الأردن، وكان الرأي الذي أبداه تشرشل أن ما توصل إليه المؤتمر بخصوص العراق ينبغي أن يسري على شرقي الأردن أي الاستعانة بالشريفين، وكانت وجهة نظر تشرشل أن انجلترا إذا ما أيدت وجود أحد أبناء الشريف حسين في العراق ولم يؤيد وجود أحد أبنائه في شرق الأردن معناه أن عليها - انجلترا - أن تحتفظ بقوات كبيرة في شرق الأردن (وهذا يكلفها كثيراً) أو تحتفظ بقوات صغيرة لا تحقق الأمان المطلوب،وكانت كلمات تشرشل (يجب أن يكون بناؤنا كبيراً بأقل ما يمكن من مواد البناء) . We must make bricks with little straw

وإذا فليس أمام انجلترا إلا الاتفاق مع عبد الله بهدف احتواء نشاطه ضد الفرنسيين وضد الصهيونية [٥٦].

في هذه الفترة كان عبد الله قد تقدم من معان إلى عمان [٥٧] وبانتهاء الاجتماع كانت هناك بعض الاحتمالات أمام المؤتمر أما تعيين عبد الله على عرش شرق الأردن أو إرسال قوة حربية لطرده ولكن استبعد الأمر الأخير برغم ما قاله

الجنرال ردكلف Redcliff إن تخفيض القوات البريطانية في العراق وغيرها من المناطق يجعل من الممكن إخضاع شرق الأردن للسيطرة البريطانية عن طريق القوة[٥٨].

ولكن الرأي الذي اتفق عليه هو تعيين عبد الله حاكماً على شرقي الأردن مع الحصول على موافقة السكان على ذلك وفي نفس الاجتماع قدم الكابتن Peake مشروعاً لإنشاء قوة محلية في شرق الأردن وهي التي صارت نواة الفيلق العربي. وبحث تشرشل مع وكيل مارشال الجو سالمون Salmon كيفية أحكام الإشراف على شرقي الأردن بقوات جوية فاتفق على أن القوات الجوية الموجودة في فلسطين تطير فوق شرقي الأردن بغرض تدعيم الأمن فيها. كذلك بحث تشرشل مع هربرت صمويل ومستشاريه العسكريين القوة المقترحة للدفاع عن فلسطين. وقد اقترح صمويل تشكيل كتيبة من اليهود وأخرى من العرب وقال إن اليهود مرحبون بذلك لكن يشك في موافقة العرب ولكن هذا الاقتراح لم يوافق عليه أعضاء المؤتمر الذين فضلوا إنشاء قوات شرطة (جندرمة)

وأبرق تشرشل إلى رئيس الوزراء في ١٨ مارس ١٩٢١ يقترح أن تتولى انجلترا أحكام السيطرة العسكرية على شرقي الأردن وبرر اقتراحه بأن ذلك يحقق وجود حكومة مستقرة تمنع حدوث غارات على فلسطين وتمنع الأعمال التي وصفها بالتخريب ضد الفرنسيين كما أنها تيسر إعادة فتح سكة حديد الحجاز ونقل الحجاج إلى مكة.

وختم برقيته بقوله إن عبد الله مهما كان معنا فلن يستطيع صد الأعمال العدائية ضد الفرنسيين إلا إذا كان معه قوة تسانده [٥٩].

وطلب تشرشل في برقيته إلى رئيس الوزراء (لويد جورج) أن يسمح له بمقابلة عبد الله في بيت المقدس لتسوية الأمور معه، وفي انتظار وصول رد رئيس الوزراء شغل المؤتمر نفسه ببحث أمور عدن والصومال وبحث تخفيض بريطانيا مصروفاتها في هذه المناطق، ورؤى ضرورة تسوية الأمور مع إمام اليمن وكان الإمام يطالب بعدن وتهامة ويثير مشاكل مع الإدريسي في عسير ويقف عبد العزيز ابن سعود موقف التأييد للإدريسي.

وجاء رد رئيس الوزراء يوم ٢٢ مارس ١٩٢١ يخبر تشرشل بموافقة مجلس الوزراء على ما اقترحه تشرشل بخصوص عبد الله وإن كانت البرقية قد تساءلت عما إذا كان عبد الله سوف يقنع بهذه المنطقة الصغيرة (شرق الأردن) كمنطقة لحكمه.

وقام تشرشل بالرد على هذه البرقية إلا في اليوم التالي (٢٣ مارس) حيث دعي حينذاك لمقابلة السلطان أحمد فؤاد سلطان مصر وكانت الأحداث في مصر قد اضطربت عقب أن عهد إلى عدلي يكن بتشكيل الوزراء وبدأ العداء بعدها بين عدلي وزغلول . [٦٠]

ولما لم تكن مهمة تشرشل في القاهرة بحث المسألة المصرية فضلاً من أنها لا تدخل في اختصاصه وإنما في اختصاص كيرزون وزير الخارجية فقد عاد يبحث الأمور في منطقة الهلال الخصيب ورد على لويد جورج في ٢٣ مارس ١٩٢١ أنه يؤيد رئيس الوزراء في أن عبد الله سوف يشعر أن منطقة حكمه صغيرة لكن المهم هو أنه سوف يشعر أن نفوذه يعتمد علينا . [٦١]

وسافر تشرشل إلى بيت المقدس والتقي هناك يوم ٢٨ مارس ١٩٢١ بوفد فلسطيني برئاسة موسى كاظم وشكى له الوفد من تصرفات صمويل الموالية للصهيونية كما شكي له من تبني الحكومة البريطانية لفكرة الوطن القومي اليهودي ولم يلتزم تشرشل نفسه بشيء محدد في رده على الوفد العربي لكنه أكد ثقته في صمويل [٦٢] كذلك التقي تشرشل بوفد صهيوني شكر الحكومة البريطانية على تبنيها فكرة الوطن القومي وأعلن قبول الصهيونية للانتداب البريطاني على فلسطين ورد تشرشل أنه مقتنع بالقضية الصهيونية . [٦٣]

تبع هذا مقابلة تشرشل لعبد الله في بيت المقدس، وخلال هذه المقابلة أكد عبد الله لتشرشل رغبته في التعاون مع انجلترا وأنه ليست له مطامع في العراق وأن ترشيحه لها كان من عمل فيصل أيام كان في سوريا، وكان عبد الله يطمع أن يكون له حكم شرق الأردن وفلسطين طالما أن مندوب بريطانيا السامي فيهما واحد ولكن تشرشل رفض ذلك وخلال هذا الاجتماع أكد تشرشل لعبد الله أن منطقة شرق الأردن لن تشملها مطالب الصهيونية بالنسبة للوطن القومي. [٦٤]

وفي الاجتماع الثاني بين عبد الله وتشرشل تعهد عبد الله بالمحافظة على الأمن والهدوء في شرق الأردن ويفضل عدم وجود قوات بريطانية في الشهر الأول من وجوده حتى يعرف قرار والده الشريف حسين بخصوص مقترحات انجلترا برغبتها في ترشيح فيصل للعراق وعبد الله للأردن.

وفي الاجتماع الثالث بين عبد الله وتشرشل تعهد عبد الله ألا يفعل شيئاً يثير الفرنسيين وألا يعمل كذلك ضد الصهيونية في فلسطين [٦٥] كما تعهد أن يساعد في الطريق البري من فلسطين إلى العراق وقال عبد الله أنه يخشى من غارات القبائل القاطنة في شرق الأردن على سوريا لأن تلك هي عادة القبائل ولكنه وعد أن يوجه نشاط هذه القبائل للداخل. وأبرق تشرشل لمجلس الوزراء وعاد عبد الله إلى عمان وبدأ يعمل معنا [٦٦].

واتفق تشرشل مع عبد الله أن تكون المنحة التي تصرفها بريطانيا لشرق الأردن مقدارها ١٨٠ ألف جنيه كما عدل تشرشل بعد محادثته مع عبد الله عن فكرة مرابطة قوة إنجليزية في الأردن على أن يكون ذلك كتجربة لمدة ستة أشهر.

وبدأ تشرشل في العودة إلى بلاده ماراً بمصر وأبرق وهو في طريقة إلى الإسكندرية إلى جورو المعتمد الفرنسي يبدي له أسفه من أنه لم يستطع الاجتماع به واقترح على المعتمد الفرنسي أنه ينبغي أن تظهر انجلترا وفرنسا وكأنهما يعملان في تنسيق كامل بالنسبة للعالم العربي [٦٧].

وعاد تشرشل إلى انجلترا يوم الحادي عشر من إبريل وأبدى رضاه وارتياحه لما حققه مؤتمر القاهرة فهو في نظره لم يخفض مصروفات انجلترا فقط، بل رسم سياسة عامة للمستقبل وتم اتصال مباشر مع العرب الفلسطينيين والصهاينة وقوى التعاون الفرنسي الإنجليزي مرة أخرى، وألقى تشرشل بياناً عن مهمته في الشرق الأوسط أمام مجلس الوزراء يوم ٣١ مايو وقال عن اجتماعه بعبد الله في بيت المقدس لقد جمدنا نشاطه ضد الفرنسيين قبل أن يبدأها بثمان وأربعين ساعة.

وفي حديثه أمام مجلس العموم بدأ تشرشل يدافع عن التزامات ومسئوليات انجلترا في الشرق وقرر أنه تقرر في لندن أن تتبع انجلترا سياسة تخفيض التزاماتها المالية والحربية وفي الوقت نفسه تستمر انجلترا في تحمل التزاماتها السياسية التي تحملتها من قبل الهدنة وبعدها، وقال عن مؤتمر القاهرة إن النتيجة

المباشرة لهذا المؤتمر أنه أصبح لانجلترا سياسة واحدة موضحة اتفق عليها كل المسئولين العسكريين والمدنيين ثم شرح السياسة التي اتبعت في العراق فلسطين وشرق الأردن وسوريا والجزيرة العربية وقرر أن مصروفات انجلترا سوف تخفض في السنة المالية ١٩٢٢ – ١٩٢٣ في الشرق بحوالي عشرة ملايين جنيه، ثم تحدث بإسهاب عن العراق وعرج في حديثه على فيصل والشريفين وقال إن انجلترا كان أمامها إما أن تشجع الانقسامات بين العرب أو تقوى الروح القومية لدى العرب وتستعين بالشريفين وقال إن على انجلترا أن تشجع العرب فيها على التساهل وتحث اليهود على الصبر وأن تجد بريطانيا طريقاً توائم به بين العرب واليهود ثم تناول بالحديث وضع شرق الأردن وقال إن المعونات المالية لحكام المنطقة سوف تستخدم لضمان الهدوء وعدم اعتداء أحد الأطراف على آخر، وإذا حدث ذلك سوف ننقص من المعونة المالية له وندفعها للطرف الذي اعتُدى عليه في شكل تعويض. وختم خطابه بالقول يجب أن ندافع عن مصالحنا الحيوية وأن نظهر بأننا نملك الوسائل لذلك وأننا قادرون على استخدامها، وحظي بيان تشرشل موافقة مجلس العموم[٦٨].

أهم نتائج البحث

- استطاعت الدبلوماسية الإنجليزية ، أن تحقق مصالح بريطانيا العظمى في المنطقة التي كانت خاضعة للسيادة العثمانية.
- تتلخص المصالح البريطانية في المحافظة عن أمن واستقرار القاعدة البريطانية في منطقة قناة السويس- المحافظة على الأمن في جنوب إيران أهم منطقة بترولية – السيطرة على العراق وذلك بسبب موقعها بالقرب من الخليج العربي ووجود البترول فيها، هذا بالإضافة إلى أنها أهم محطة إلى الهند "درة تحتاج البريطاني" .
- استفادت بريطانيا بدرجة كبيرة من التناقض بين العرب والأتراك فوثقت علاقتها بالشريف حسين وأولاده ومع عدد من القوميين العرب وأعلنت أن مصالح بريطانيا هي نفسها مصالح العرب.
- وفي نفس الوقت عقدت اتفاقية سايكس – بيكو لتسوية مشاكلها مع فرنسا وأصدرت وعد بلفور لكسب اليهود .
- استعانت بريطانيا لتنفيذ سياستها بعدد من المستشرقين البريطانيين ودستهم بين العرب مثل لورنس جروتودبيل .
- استطاعت وبمهارة فائقة استخدام بعض الشخصيات العربية مثل طالب النقيب أهم زعماء الحركة العربية في البصرة [٦٩] واستفادت أيضًا من عوني عبد الهادي أهم المقربين إلى الأمير عبد الله والأمير فيصل وقد كان من بين أعضاء الوفد الحجازي في مؤتمر الصلح بباريس. [٧٠]
- أصدر القادة العسكريون البريطانيون عدة منشورات إلى أهالي العراق أعلنوا فيها أن هدفهم تحرير العراق من الأتراك المستبدين مع التأكيد على حرية واستقلال الشعوب العربية بعد الحرب.
- بعد الحرب تم ابتداع نظام الانتداب ،وتم إعادة تقسيم البلاد العربية في المشرق بين بريطانيا وفرنسا بمقتضى اتفاقية سار ريمو عام ١٩٢٠ م.
- وأهم الحلقات في السياسة البريطانية كانت عقد مؤتمر في القاهرة يوم ١٢ مارس ١٩٢١ م – وذلك بهدف تحقيق السيادة البريطانية في العراق وشرق الأردن بأقل التكاليف المادية والعسكرية وذلك من خلال إقامة أنظمة ترضى عنها شعوب المنطقة وفي نفس الوقت خاضعة خضوعًا كاملاً لبريطانيا.
- وبهذا الشكل يتضح توحد السياسات الاستعمارية في كل مراحل العصر الحديث منذ الكشوف الجغرافية مرورًا بالاستعمار الإنجليزي والفرنسي وأخيرًا الاستعمار الأمريكي الجديد – نفس الحجج ونفس الزرائع ولا نستفيد دروس التاريخ !!! .

أولاً: الهوامش

* لمزيد من التفاصيل حول هذه الثورات يمكن الرجوع إلى المراجع الآتية :
- أمين سعيد – ثورة العرب في القرن العشرين ٠
- د٠ مكي شبيكة – العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى ٠
- د٠ محمد عبد الرحمن برج – دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ٠

** لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى :
- والتر لاكور- الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ٠

*** ولد توماس إدوار لورنس عام ١٨٨٨م، وهو إيرلندي الأصل جاء إلى المشرق عام ١٩٠٩، وكان مهتمًا بالبحث عن الآثار في سوريا، ساهم في وضع خرائط خاصة بشبه جزيرة سيناء، لعب دورًا أساسيًا في إقناع الشريف حسين بالقيام بالثورة العربية، ثم سافر مع الأمير فيصل إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح، وتوفى عام ١٩٢٥م٠

**** جرتوديل – كانت تعمل مستشارة سياسية للسيربيرس كوكس الحاكم البريطاني في العراق، وساهمت بشكل إيجابي في الترويج للسياسة البريطانية في العراق أثناء الحرب العالمية الأولى ٠
- د٠ مكي شبيكة – العرب والسياسة البريطانية ٠

(١) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ص ٨ ٠
(٢) د٠مكي شبيكة – العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى ص ٩٦ ٠
(٣) انتوني ناتنج - لويل ثوماس - لورنس لغز الجزيرة العربية ص ٢٦٠ ٠
(٤) د٠ مكي شبيكة – المرجع السابق ص ١٢٠ ٠
(٥) انتوني ناتنج – المرجع السابق - ص٤٨ ٠
(٦) نفس المرجع ص ٨٠ ٠
(٧) أمين سعيد ثورات العرب في القرن العشرين ص ٥٧ ٠
(٨) د٠ خيرية قاسمية – الحكومة العربية في دمشق ص ٤٦ ٠
(٩) د٠ محمد أنيس – الدولة العثمانية والشرق العربي – ص ٩ ٠
(١٠) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين – المصدر السابق ص ٨٤ ٠
(١١) هربرت فيشر - تاريخ أوربا الحديث – ص ٥٣٢ ٠
(١٢) الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين – المصدر السابق ص ٨٧ ٠
(١٣) نفس المصدر ص ٨٣ ٠
(١٤) د٠ محمد عبد الرحمن برج – دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ص ٣٣٤ ٠
(١٥) أمين سعيد – المرجع السابق – ص ٢٨ ٠
(١٦) د٠ محمد عبد الرحمن برج – المرجع السابق ص ٣٤١ ٠
(١٧) أمين سعيد – المرجع السابق – ص ١٣٠ ٠
(١٨) نفس المرجع ص ١٣٢ ٠
(١٩) انتوني ناتنج – لورنس لغز الجزيرة العربية – المرجع السابق ص ٢٦٤ ٠
(٢٠) نفس المرجع ص ٢٥٨ ٠
(٢١) د٠ محمد برج – المرجع السابق – ص ٣٣٧ ٠

(22)Burgoyne (Eilzabeth): Gertrude Bell from her personal Papers, P.181.
(23) Encyclopaedia Britannica, vol IX , P. 860.
([24]) Ivor Spector: The Soviet Union and the Muslim world (1917-1958), P.50.
([25])Winston Churchil: The Position aleroad and at horne P.224.

(26)A dam L. Angleterre en Egypte p.155.

(٢٧) انظر الوثائق التي نشرتها الحكومة المصرية بعنوان القضية المصرية ١٨٨٢ – ١٩٥٤ . ، وما جاء بها بخصوص لجنة ملنر.

(28)Glubb, Britian and the Arales, P. 200.
(29)Churchil. Op. cit. P. 214.
(30)Churchil. Ibid, P. 217.
(31) F.O. 371/6343.
(32) Churchil 12 Jeenuary 1921.
(33) Young, The indepenclant Arale P.324.
([34]) Hansrard Porlionertary Deleates N. IX. P. 345.

(٣٥) يقول يونج أنه رافق تشرشل إلى القاهرة ومعهما لورنس ومثلت وزارة الحربية والطيران في الاجتماع بالمارشال ترينشارد – لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى انتوني ناتنج – لورنس لغز الجزيرة العربية.

(٣٦) عاش مارستون سميث (١٨٧٨ – ١٩٣٨) وشغل منصب وكيل وزارة مساعد للحربية والطيران البريطاني ثم وقع عليه الاختيار لرئاسة لجنة شئون الشرق الأوسط وشغل من عام ١٩٢١ – ١٩٤٠ منصب الوكيل الدائم لوزارة المستعمرات – مكي شبيكة – المرجع السابق.

(37) Kilemon : Foundations of British policy in the Arab World P.47.
(38) F.O. 371/5039, Political Turkey 1920.
(39) Kileman, op. cit, P. 98.
(40) Young , op. cit, P. 327.
(40) Meinertzhagen , Middle East Diary, P. 47.
(42) Kileman, op. cit, P. 100.
(43) Ireland, Iraq , P. 309.
(44) Graves and Liddle Hart , Lawrence P. 144.
(45) F.O. 371/6342.
(46) Kileman, op. cit, P.113.
(47) Young. op. cit, P.340
(48)Kileman, op. cit, P.114.
(49)Kileman, op. cit, P.116.

(٥٠) خير الدين الزركلي: عامان في عمان ص ١٤ وما بعدها، أمين سعيد: المرجع السابق ص ٣ ص ١٠ وما بعدها.

(51) F.O. 371 / 6342.
(52) Kileman, op. cit, P.116- 119.

• هو الابن الأصغر للسيد رجب بك نقيب البصرة ،وقد برز كبطل حركة إصلاح في العراق وتزعم الحركة المسماة بالتحرر العربي في البصرة ضد سياسة التتريك ، وكان منزلة نقطة تجمع للعرب الساخطية على الترك .. د. مكي شبيكة المرجع السابق ص ٥١ ٥٥ .

([53]) Kileman, op. cit, P. 126. F.O. 371 / 6342.
([54]) Clurchil. op. cit, P. 225.
(55) F.O. 371 / 6342.
(56) Clurchil. op. cit, P. 229.
(57) Kileman, op. cit, P. 133.

(٥٨) سايكس : مفارق الطرق إلى إسرائيل الترجمة العربية ص ٥١٩ ٠

(59) F.O. 371 / 6342..

(٦٠) د. محمد عبد الرحمن برج : قناة السويس أهميتها السياسية والاستراتيجية وتأثيرها على العلاقات المصر البريطانية ص ٢٣٢ ٠

(61) F.O. 371.
(62) Klieman, P. 131
(63)Klieman, P. 132.
(64)Clurchil. op. cit, P. 233.
([65])Clurchil. Ibid., P. 235.
(66) Klieman, op. cit, P. 133

(٦٧) خير الدين الزركلي : عامان في عمان ص ٤٨ – ٤٩ ٠

(68)Klieman, op. cit, P. 138.

(٦٩) د٠ مكي شبيكه – السياسة البريطانية – المرجع السابق ص ٥١ ٠
(٧٠) خيرية قاسمية الحكومة العربية في دمشق ص ٨٦ ٠

ثانيًا: مصادر البحث

١- الوثائق :

وثائق وزارة الخارجية البريطانية

- Foreign Office General Correspondence Political 1921 - 371 - 632

- وثائق الحكومة المصرية عن المفاوضات المصرية البريطانية المنشورة بعنوان القضية المصرية ١٨٨٢ - ١٩٥٤ (القاهرة المطبعة الأميرية ١٩٥٥).
- الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المجموعة الأولى ١٩١٥ - ١٩٤٦ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

٢- الدوريات الأجنبية

- Times - 1920.

٣- المراجع الأجنبية :

- Burgoyne (Elizabth) Gertude Bell . From Her Personal Papers (London, 1961)
- Churchil , Winston . Great Contemporaries (London , 1937) .
- The Position Abroad and at Home (London, 1920).
- Encyclopaedia Britannica (1974 edition).
- Gwynn. Imperial policing (London, 1936).
- Glubb. Britain and the Arabs (London, 1954).
- Graves and Hart (Liddle) Lawrence (London, 1934).
- Ireland. Iraq: A study in Political Development (London, 1937).
- Klieman Aron Foundations of British policy in the Arab world (London , 1970).
- Marlowe, the Anglo – Egyptian Relations (London , 1954).
- Spector, Ivor the soviet Union and the Moslem world 1917– 1953 (Washingion, 1959).
- Young the independent Arab (London, 1933) .
- Winston Churchil : The Position Abrood and at Jome (London, 1920).
- Adm, le Angleterre en Egypte 1922.
- Meinertzhagen, Middle East Diory
- Lloyd. Egypt Since Kromeriell 1933.